

## درع الثقافة

عدت من الخرطوم فى ديسمبر الماضى بعد المشاركة فى مهرجان الخرطوم (عاصمة الثقافة العربية عام 2005م).

وقد كانت مبادرة مقدره ودعوة كريمة من الأمانة العامة للمهرجان الثقافى الكبير .. وما كنت أظن أن الدولة قد حشدت هذا الكم والكيف من الامكانيات .. المادية والبشرية لنجاح هذه الفعاليات التى امتدت على مدى عام كامل ..

وفى قياس التجارب الجديده والفريدة .. وفى مناخ الجدل الفكرى والصراع الثقافى بكل أشكاله (وبانوراما) مضامينه المختلفه .. فقد كانت التجربة فى المحصلة النهائيه ناجحه وتستحق التقدير ..

وقد تكون شهادتى مجروحه لاننى كنت ضيفا على أهل الدار وان كانوا أهلى .. ولكن شهادتى تشفع لها تحفظاتى الكثيرة فى المشاركة لاننى فى الخارج ولا أدرى طبيعة المناخ فى الداخل .. ولا تضاريس الأرض التى تتحرك فيها الفعاليات .. ولكن ابرز شواهد العصر أننى لم أعول كثيرا على الدعوة التى وصلتني من سفارة جمهورية السودان بأبوظبى .. تحمل توقيع الأمانة العامة .. والوعد بتذاكر السفر والأقامة على نفقة الدولة .و ماكنت أحسبني أحيا الى زمن أنعم فيه بهذا الترف طواعية بلا من و لأذى و أنا الذى كنت أزور الدولة فى جنح الليل و أغادرها فى جنح الظلام ولله فى خلقه شؤون.

ولاننى كنت مترددا فى اتخاذ القرار .. ومتشككا فى مصداقية الدعوة وبعض الظن اثم .. فقد غادرت الى القاهرة فى فى مهمة خاصة .. ثم سافرت من القاهرة الى الخرطوم فى رحلة خاصة.. وكانت الدعوة قد عقبنتنى الى أبوظبى وظنوا اننى تخلفت عن الركب أو أخلفت الوعد .. ولكننى اخطرت الأمانة العامة من القاهرة بحضورى للخرطوم ..و صلت الخرطوم وذهبت الى منزلى وبقيت حتى اليوم الثانى .. فاتصلت بي الأمانة العامة .. لتستفسر عن حضورى معتذرة بتقاطع خطوط الاتصال وحملونى على الذهاب الى فندق القصر بالخرطوم بحرى حرصا على بروتوكول الضيافة لآكون فى معية الوفود الزائرة والشخصيات العربية المشاركة فى ( مهرجان الشعر العربى ) .. أو الملتقى الشعرى .. حتى يتحققوا من انسيابية حركة الوفود لحضور الفعاليات المتعددة فى أرجاء العاصمة وخارجها ..

وذهبت الى الفندق .. ووجدت قدرا كبيرا من لطف الضيافة وحسن الاستقبال فاق كل تصورى .. حتى طاقم الفندق ذاته كان مهيبا نفسيا للترحاب بالضيوف اكثر مما جرت عليه العادة فى زيارات المتقطعة له .

وكانت كوكبة الشعراء من لبنان وسوريا والأردن وفلسطين والامارات واليمن وليبيا .. وكانت النشاطات المختلفة للملتقى الشعرى تتوزع نهارا ومساء بين شتى المناشط والدور الثقافية .

وقد أعجبنى أن كانت هنالك ليلة شعرية فى نادى ضباط الشرطة بضاحية (برى) .. وقد كانت لفته لها دلالتها النفسية بالانتقال من حق القوة الى قوة الحق .. من فكر السلطة الى سلطة الفكر .. وكان هناك حوار فى هذا الاتجاه .. قارنت بينه وبين زمان كان الشاعر المبدع أبو أمنة حامد .. فى الستينات يحلم بمثل هذا اليوم الذى شهد تكريمه فى سياق الحديث عن سلطان الوعى الثقافى .. الهاجس الذى عاش يؤرقه مدى عمره المديد باذن الله .. حتى يرى الحلم وقد أصبح حقيقة .. فى وجود (الرباط) الثقافى والفنى والعلمى ينصهر فى بوتقة النظام الأمنى الذى نأمل ان يتحول الى صمام أمان من الخوف والقهر والعدوان ..

وقد عرفت ان للأمانة العامة مطبعة تقوم بطباعة ونشر وتوزيع الكتب .. وبما أننى عاصرت فترة الجفاف الفكرى عندما جئت أطبع كتبى فى دار النشر بجامعة الخرطوم .. فى الثمانينات أتذكر فى حسرة شديدة كيف كان ثقل الحرج الذى يحس به زميلى وصديقى الدكتور خالد المبارك والذى كان يشرف على الدار .. الخالية الخاوية من الورق .. ذات الماكينات البالية العاجزة عن الدوران ..

ولقد عرضت على الأمانة العامة مساهمة منى فى إحياء هذه المناسبة الثقافية التبرع بطبع كتابى ( الغربية ..نثرا و شعرا ) وتوزيعه على المكتبات مقابل تشريفى فى حضوره فى مهرجان (المنامة ..عاصمة الثقافة العربية فى عام 2006م) ونسخه اكرامية لى .... وقد كنت فى الثمانينات أطمع فى طباعة كتبى بدون مقابل .. ولكنهم طلبوا منى السعر بالدولار .. وهو عطاء من لا يملك لمن لا يستحق ..

وقد عرضت على الأمانة العامة أنشاء مسابقة ( جائزة الابداع الشعرى ) السنويه للشباب وقد تعهدت برعاية هذه الجائزة الشبابيه حتى تظل جذوة الشعر متقدة .. وناره حية لا تنطفئ فى وقت يعانى فيه الشعر من أزمة وجود ..

وقد ثبتت الأمة العامة الفكرة .. وكتبت عنها فى الصحف .. وأجدد العهد فى الالتزام بها والوفاء لها .. ايماننا منى بضرورة الحفاظ على التراث الشعرى الذى يمثل الرئة الحقيقية للابداع الفنى السودانى منذ التاريخ الباكر ومنذ الطفولة حتى الكهولة ..

وفى ختام الفعاليات ( للملتقى الشعرى ) نظمت الأمانة ( نهائية شعرية ) وهى تسمية حديثة بالنسبة لى مقابل (ليلة شعرية) .. على باخرة نيليه سعد به الشعراء العرب .. واخرى سياحية فى مزارع (ضاحية سوبا) وكانت اخلاللة على النيل .. شريان الحياة .. وقد أذهلت الضيوف مناظر

الخضرة الممتدة على شاخئ النيل الأزرق .. ودار نقاش نخويل حول ثروة السودان وموارده الطبيعية وامكانياتة المكتنزة غير المكتشفة والمجهولة حتى لدى أقرب الأقربين من الأخوة العرب والمسلمين .

وفى مزرعة الاستاذ الفاضل ( أبو كشوه) تم تكريم الشعراء المشاركين فى ختام الملتقى الشعرى لمهرجان الخرطوم عاصمة الثقافة العربية عام 2005م .. وتقلد كل شاعر درع الثقافة ووسام المهرجان .. وكان ختام المسك فى ذلك المكان و الزمان ..

وسوف يبقى عام 2005م محفورا فى ذاكرة التاريخ السودانى المعاصر لأنه يسجل حدثا فريدا مر بمرحلة تاريخيه فى حياة السودان فى ظروف داخلية واقليمية ودولية تمثل مفصلا أساسيا فى التحولات الدولية .. ويمثل اهمية خاصة للسودان فى قضية الهوية .. وجغرافية المنطقة .. فى ظل العولمة .. وحوار الحضارات ..

نامل ان يتكرر الحدث وقد حسم السودان هذه القضايا المعلقة فى أجندة الشرعية الدولية وأثبت انه الوعاء القادر على استيعاب هذا التنوع من الثقافات .. وهذا الاختلاف فى المناخات الفكرية والاجتماعية والعرقية .. وأن يكون درع الثقافة الذى توشحنا به أمام الضيوف العرب شهادة عصر على مرحلة التحول التاريخى للسودان من بلد يعيش زمن الاحتراب الى جسر لتواصل الثقافات و الأحباب من شتى الأعراق و الانساب و الى أمة عاشت مرحلة المخاض الطبيعى لولادة القادم الجديد..القارة .. الأقليم ..القطر..المدينة...الخرطوم (عاصمة الثقافة العربية عام 2005م) و عاصمة السودان أم الأقاليم المتحدة فى الجنوب و الشمال و الشرق و الغرب بنهاية عام 2005م.. وليس ذلك على الله ببعيد .

و الله وراء القصد

الدكتور الزين عباس عمارة-أبوظبى